# ( التداخل الثقافي بين دول حوض البحر الأحمر التصوف نموذجاً).

د. حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد البولادي

الأستاذ المشارك - نائب عميد
كلية الدراسات الإسلامية
جامعة كسلا -السودان

**المستخلص**

تتناول هذه الدراسة موضوع التصوف الإسلامي ودوره في دول حوض البحر الأحمر عامة ،وفي بلاد السودان بصفة خاصة ، فتدرس أثره الثقافي في هذه المنطقة.

ويهدف هذا البحث للتعريف بمصطلح التصوف واشتقاقه، مع بيان أثره الثقافي في دول حوض البحر الأحمر، والوقوف على دخوله للسودان ،ودور الطرق الصوفية ومشايخها ثقافياً ،مع تعداد أثر التصوف الثقافي في السودان، ومن ثم ذكر نماذج لشيوخ التصوف الذين أثروا في بلاد السودان.

وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي مع المنهج الوصفي.

وقد توصل البحث لعدد من النتائج أهمها:أن التصوف أصيل في الإسلام، ولكن لم يعرف كمصطلح مستقل كما هو اليوم.أن هنالك ارتباطاً في أصل الطرق الصوفية في حوض البحر الأحمر في إثيوبيا والصومال ومصر واليمن والسودان، وله أثر ثقافي كبير.وقدمت الورقة عدة توصيات كإقامة مركز لدراسات التصوف، مع قيام مؤتمر جامع للطرق الصوفية في دول حوض البحر الأحمر لجمع كلمة المسلمين .

**Abstract**

This study deals with the topic of Islamic Sufism and its role in the countries of the Red Sea basin in general, and in the country of Sudan in particular, and studies its cultural impact in this region.

This study aims to define the term Sufism and its derivation, with an indication of its cultural impact in the countries of the Red Sea basin, and also to determine the way it comes to Sudan, and the cultural role of Sufi groups and their sheikhs, while enumerating the impact of cultural Sufism in Sudan, and then mentioning examples of Sufis sheikhs who influenced Sudan. In this study, the researcher used the historical descriptive method. The study reached a number of results, the most important of which are:

Sufism is authentic in Islam, but it was not known as a separate term as it is today. There is a link in the origin of Sufi groups in the Red Sea basin in Ethiopia, Somalia, Egypt, Yemen and Sudan, and it has a great cultural impact. The paper made several recommendations, such as: setting up a center for Sufism studies, with the establishment of a conference for Sufi groups in the countries of the Red Sea basin to unite the word of Muslims.

**المقدمـــــــــة**

الحمـد للـه الـذي خلـق فسـوى , وقـدر فهـدى ،جـل في عـلاه وتقدسـت اسـماه ، و صـلى اللـه عـلى حبيبـه ومصطفـاه , سـيدنا محمـد بـن عبداللـه وعـلى آلـه وأصحابـه وسـلم تسـليما كثـيرا.

أما بعد

يعتـبر موقـع السـودان الاسـتراتيجي الـذي يربـط العالـم العربـي بإفريقيـا، ويربـط شـمال أفريقيـا وشرقهـا بغـرب القـارة، مـع إطلالتـه عـلى البحـر الأحمـر شرقـا، وحـدوده مـع دول البحـيرات جنوبـا، يعتـبر معـبراً مهمـاً للثقافـة الإسـلامية، وقـد تـم ذلـك لـه بعـد عـدد مـن الهجـرات مـن دول حـوض البحـر الأحمـر، كالحجـاز واليمـن، فنتـج عـن ذلـك التلاقـح مجتمعـاً جديـداً،كان لحمتـه وسـداه المنهـج الصـوفي، حيـث تمازجـت تلـك الهجـرات وتعايـش النـاس في تسـامح منقطـع النظـير ، فأنتـج هـذا التداخـل الثقـافي بـين المهاجريـن مـن اليمـن والحجـاز إنسـاناً جديـداً، يتحـلى بقيـم جديـدة جـاء بهـا الإسـلام، وجمعـت بينهـم القيـم الصوفيـة المشـتركة،ولعل أبرزهـا هـو الأثـر والقيـم الثقافية،فكيـف تـم ذلـك ومـا هـو دور التصـوف الثقـافي في هـذه المنطقـة. وهـذا مـا سـيجتهد الباحـث في العمـل فيـه، مـن خـلال بحثـه الموسـوم بـــ( التداخـل الثقـافي بـين دول حـوض البحـر الأحمـر –التصـوف نموذجاً).وهـذا البحـث مقـدم للاشـتراك بـه في المؤتمـر العلمـي الـدولي الأول الـذي يقيمـه مركـز بحـوث ودراسـات دول حـوض البحـر الأحمـر بالتعـاون مـع جامعـة الزعيـم الأزهري،ويندرج هـذا البحـث تحـت المحـور الثامـن مـن محاور المؤتمـر: المحـور الثقـافي والاجتماعـي.

**مشكلة البحث:-**

لعـل أبـرز القضايـا الاجتماعيـة ،والسياسـية،والدينية المؤرقـة في عصرنـا الحـاضر، انتشـار ظاهـرة التطـرف والغلو،وخطـاب الكراهيـة وعـدم قبـول الآخـر، نتيجـة للانقطـاع الثقـافي،و عـدم التواصـل بـين دول حـوض البحـر الأحمر،ونتيجـة للحـدود الإداريـة التـي تمنـع التواصـل بـين المجتمعـات كمـا كان سـابقاً، وتوقـف المـد الصـوفي الـذي كان سـبب التواصـل بـين الشـعوب.

أهمية الموضوع:- تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يعرف بكيفية التواصل الثقافي بين شعوب دول حوض البحر الأحمر ، خاصة السودان مع بيان أثر التصوف في الفعل الثقافي

وربط الشعوب وتوحيد وجهتها ثقافياً.

**أسئلة البحث :-**

أ. ما هو التصوف ؟وكيف ساعد التصوف في التلاقح الثقافي بين شعوب حوض البحر الأحمر؟

ب. ماهي الأدلة والشواهد على أثر التصوف الثقافي في شعوب دول الحوض؟

ج. من هم أشهر المتصوفة الذين كان لهم الدور الفاعل ثقافياً في السودان خاصة؟

د. هل يمكن أن يلعب التصوف دوراً في توحيد شعوب دول حوض البحر الأحمر ؟

أهداف البحث :- ويهدف هذ البحث للآتي:-

١. التعريف بالتصوف وبدول حوض البحر الأحمر.

٢. إبراز دورالتصوف في توحيد شعوب دول حوض البحر الأحمر ثقافياً.

٣. تتبع أثر المنهج الصوفي ثقافياً، وكيفية الاستفادة منه في توحيد شعوب الحوض.

٤. لفت نظر الباحثين لدور علماء التصوف في الفعل الثقافي والتعريف بهم.

**هيكل البحث :-**

وسيكون هيكل هذه الورقة علي النحو التالي :---

- المقدمة : وفيها خطة البحث وأهمية الموضوع , وأسئلة البحث ، وأهدافه .
- تمهيد : وفيه التعريف بالتصوف في الإسلام.
- المبحث الأول :-التصوف ودخوله للسودان.
- المبحث الثاني :- أثر التصوف الثقافي في شعوب الحوض.
- المبحث الثالث:- نماذج لشيوخ التصوف الذين أثروا في بلاد السودان.
- الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.
- فهرس للمراجع والمصادر

## تمهيد

## التعريف بالتصوف في الإسلام

الإسلام هو الدين الخاتم للأديان السماوية، ونبيه صلى الله عليه وسلم مرسل لكافة الناس بشيراً ونذيراً، وقد بلغ الرسالة وانتقل إلى الرفيق الأعلى، فتحمل أصحابه عبء البلاغ ، فحملوا الدعوة ووصلوا بها إلى أقاصي الدنيا، فبلغوها كما هي إلى التابعين ومن بعدهم بيضاء ناصعة كما كانت في العصر النبوي، وكانوا زاهدين في الدنيا مقبلين على الآخرة، مبتعدين عن مباهجها ،يتمثلون الحبيب المصطفى في رفقه وتواضعه، وزهده وتعايشه مع الآخرين، فلما بسطت الدنيا واتسعت الدولة وانشغل المسلمون بها، ظهر تيار جارف يدعو للرجوع للعصر الأول متمثلين منهج النبي صلى الله عليه وسلم في سلوكه، وسيرة أصحابه من بعده والتابعين الأخيار من بعدهم، واشتهر هذا التيار بالزهد والبعد عن ملذات الدنيا ، وعرف اصطلاحاً بالتصوف، واشتهر من يسلكه بالمتصوف، أوالصوفية.

وقد اختلف الباحثون في أصل التصوف،وفي معناه ومنشأه وقواعده وأصوله، بل حتى في موضوعه، وبما أن هذه الورقة عن دور التصوف الثقافي في دول حوض البحر الأحمر فلا بد أن نعرف المصطلح أولاً في الإسلام ،وماهو موضوعه.

فقد بدأ التصوف في الإسلام باكراً ، من خلال الزهد في الدنيا والبعد عن الملذات ،وكان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الزاهدين ، وإمام الراغبين في الآخرة التاركين للدنيا وما فيها، وتبعه الصحابة رضي الله عنهم فقد برزت نماذج مضيئة في اتباع الحبيب المصطفى في الزهد، فكان أبوبكر رضي الله عنه، وعمر الفاروق ،وعلي ،وعثمان ،وابوذر وغيرهم ،رضي الله عن الجميع، حتى برز أهل الصفة في المسجد النبوي .ثم جاء من بعدهم كبار التابعين في القرن الأول الهجري فكان الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله،وسعيد بن جبير ،والشعبي، وابن سيرين وغيرهم رحمهم الله. حتى وصل تيار الزهد إلى معروف الكرخي ،وذالنون المصري، والجنيد بن محمد رحمهم الله. وهنا اشتهر المصطلح وأصبح معروفاً بين العامة والخاصة، حتى صار ملجأ لكل متحير، وملاذا لكل سائر يريد الوصول إلى الله.

وذهب الباحثون في هذا العلم مذاهب شتى في وجوده ونشأته،وبداية ظهوره ويمكن الرجوع إلى ذلك في مصادره.[١]

**اشتقاق كلمة تصوف**:- كما اختلف الباحثون والعلماء في بداية نشأة التصوف،فقد اختلفوا في تعريفه، و في أصل اشتقاق كلمة تصوف ، وكان ذلك على عدة أقوال أهمها:-

١. قيل أنه مشتق من الصفآء ، أي صفاء النفس فقيل صفوي وتغير لصوفي قال :الطوسي أبو نصر السراج:( كان في الأصل صفوي , فاستثقل ذلك , فقيل : صوفي ، ونقل عن أبي الحسن الكناد أنه مأخوذ من الصفاء ).[٢]
٢. قيل أنه مشتق من الصوف لأنهم كانوا ولا زالوا يلبسونه كما قال أبو طالب المكي وغيره.[٣] مع أن الإمام القشيري رحمه الله نفى ذلك حيث قال :إن الصوف ليس لباس الصوفية.[٤]
٣. وقيل سميت صوفية لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها .وينقل الكلاباذي أبو بكر بن محمد الصوفي المشهور قال : قالت طائفة : إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها , ونقاء آثارها وقال بشر بن الحارث : الصوفي من صفت لله معاملته , فصفت له من الله عز وجل كرامته). [٥]
٤. وقيل سموا صوفية نسبة لأهل الصفة الذين كانوا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ،وذلك لقرب أوصافهم منهم في الزهد والانقطاع لله.
٥. وقيل سموا صوفية نسبة للصف الأول بين يدي الله جل وعلا ، في الاعتقاد والعبادة والسلوك.[٦]

وقد لخص الشيخ زروق في كتابه (قواعد التصوف) هذه الاشتقاقات في عدة أقوال أوصلها

لخمسة هي:- [٧]
الأول : قول من قال : من الصوفة , لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له .
الثاني : أنه من صوفة القفا , للينها , فالصوفي هيّن ليّن كهي .
الثالث : أنه من الصفة , إذ جعلته اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة .
الرابع : أنه من الصفاء , وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله :تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وظنه البعض مشتقا من الصوف.
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافي فصوفي حتى سمي الصوفي.
الخامس : أنه منقول من الصفة لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تعالى : { يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } . وهذا هو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه .

وختام القول أن الاشتقاق في اللغة للصوفية صار أمراً عسيراً،وبحثاً طويلاً، كما قال الشيخ علي الهجويري :( إن اشتقاق هذا الاسم لا يصح من مقتضى اللغة في أي معنى , لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه ).[٨]

وهذا هو رأي الإمام القشيري رحمه الله حيث قال في أن اشتقاق التصوف لايمكن ادراكه لغوياً بل هو منهج سلوكي لا اشتقاق له :( ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق) .[٩].

وعليه فإن التصوف منهج سلوكي إسلامي بغض النظر عن اشتقاقه اللغوي، وهو متمكن في حياة المسلمين مؤثر فيها، وله دوره في حفظ كيان الأمة، وفي التعايش السلمي بين الناس جميعا ،وله كسبه الثقافي الذي ربط مناطق حوض البحر الأحمر في السودان ومصر والحجاز واليمن والصومال واثيوبيا وجيبوتي واريتريا، ويدل على ذلك الطرق المتشابهة في كل هذه البلدان، والأذكار المتماثلة، والزي والآلات المستخدمة في الإنشاد وغيرها.

## تعريف التصوف:-

وكما اختلف الباحثون في اشتقاق الكلمة ،فقد اختلفوا في تعريف المصطلح،فكلمة تصوف أو مصطلح صوفية تعرض لكثير من التعريفات المتباينة، حتى من الصوفية أنفسهم، فقد أورد صاحب التعريفات الإمام الجرجاني رحمه الله قال:(التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبعية، وإخماد الصفات البشرية).[١٠] وعرفه الإمام الجنيد رحمه الله قال :( الصوفي هو الذي سلم قلبه كقلب إبراهيم من حب الدنيا , وصار بمنزلة الحامل لأوامر الله , وتسليمه تسليم إسماعيل , وحزنه حزن داؤود , وفقره فقر عيسى , وصبره صبر أيوب , وشوقه شوق موسى وقت المناجأة , وإخلاصه إخلاص محمد ).[١١]

وهنالك عدة تعريفات للتصوف والذي أراه، أن التصوف منهج سلوكي

مصدره الكتاب والسنة، ووسيلته الزهد وحسن الخلق مع القيم الخُلقية والخلقية النبوية، وخدمة المجتمع المسلم والوصول به إلى المولى جل وعلا.

**موضوع التصوف:-**

وبحسب التعريف يختلف موضوع التصوف عند الباحثين،مع أن الواقع المعيش يؤكد أن موضوعه هو الخلق القويم والزهد في الدنيا، طلباً ورغبة في الآخرة، فاذا وصل الصوفي لذلك كان متصوفاً، والا عليه التخلق والتمثل به حتى يصبح الزهد سمة ملازمة له قال الغزالي رحمه الله : (فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية، حتى قيل: تخلقوا بأخلاق الله).[١٢]

وقيل أن التصوف هو الزهد يقول ابن الجوزي رحمه الله:(الصوفية من جملة الزهاد، وقد ذكرنا تلبيس إبليس على الزهاد، إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال، وتوسموا بسمات، فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر).[١٣]

فموضوع التصوف هو الزهد والأخلاق ، حتى يصل المتصوف بسلوكه الشرعي وفق المنهج النبوي ،إلى التخلق بالأخلاق النبوية الكاملة، التي توصله للمولى جل وعلا.

## المبحث الأول
## التصوف ودخوله للسودان

بدأ دخول الإسلام إلى بلاد السودان ،متزامناً مع دخوله إلى مصر في العصر الأول على يد الصحابي الجليل عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه،وكان ذلك من جهة الشمال بعد الاتفاق مع الدولة المسيحية،وقد سبقته بعد الجهود الفردية من خلال التجارة مع اليمن والحبشة والحجاز،ثم انتشر الإسلام إلى داخل السودان .

ومع بداية دخول الإسلام إلى السودان ،دخل التصوف من الجهات المذكورة آنفاً، وقد ساعد قيام دولة سِنار أو السلطنة الزرقاء (١٥٠٤هـ-١٨٢١م) على أنقاض مملكة سُوبا المسيحية ،ساعد على هجرة العلماء للبلاد، خاصة بعد التشجيع الذي وجدوه من سلاطين سنار، توافد العلماء لبلاد السودان من الحجاز واليمن ومصر،و سهل لهم الأمر إنشاء الرِواق السناري بالأزهر الشريف لطلاب العلم هناك، وحفز العلماء ما تميزت به العاصمة الرئيسة في سِنار، حيث كان لها موقع وسط في ملتقى الطرق بين إثيوبيا والسودان، وكانت منفذاً لشمال وشرق إفريقيا، وغرب وجنوب السودان، وأن لها طريق مؤمن عبر ميناء سواكن على البحر الأحمر مع اليمن والحجاز مما ساعد العلماء للتوجه نحو سنار ونشر التصوف بها نسبة لأن الحكام بها كان لهم ميل للعلم والعلماء والتصوف والمتصوفة، ويعتبر البروفيسور حسن مكي محمد أحمد أن قيام سلطنة الفونج الإسلامية في عام ١٥٠٤م على أنقاض

مملكة سوبا المسيحية نقطة تحوّل وفاصلة حضارية مهمة بدلالاتها الفكرية والثقافية في اتجاه تكوين المجتمع السوداني الجديد.(١٤)

وقد وفد الصوفية إلى السودان في بادئ الأمر كأفراد، في فترة مبكرة من دخول الإسلام للسودان،فقد وصل غلام الله بن عائد الركابي إلى دنقلا في قادماً من اليمن عبر الحجاز ،واستقر في دنقلا وأسس أول خلوة للقرآن بها، ثم جاء الشيخ تاج الدين البهاري من العراق عبر الحجاز مجتازاً البحر الأحمر إلى السودان حاملاً الطريقة القادرية إلى وسط السودان، ثم رجع خوجلي بن عبدر الرحمن حاملا الطريقة الشاذلية من الحجاز التي ذهب إليها للعلم، وكذا جاء السيد محمد عثمان الميرغني ،والشيخ أحمد الطيب بن البشير تلميذ الشيخ محمد عبد الكريم السمان،وغيرهم كثر.(١٥)

## المبحث الثاني
## أثر التصوف الثقافي في شعوب الحوض

للتصوف كمنهج و الصوفية طرق أثر بالغ في حياة سكان حوض البحر الأحمر، ويظهر ذلك في دخول الطرق نفسها عبر البحر الأحمر من الحجاز واليمن ، إلى غرب الحوض في مصر والسودان ،وجيبوتي والصومال واثيوبيا واريتريا، ويعتبر الأثر الثقافي هو أبرز نتاج للتصوف،في الزي الذي يلبسه غالب أهل التصوف وهو المنتشر في دول المتأثرة بالتصوف، وفي الإنشاد والذكر ولعل قصيدة الشيخ البرعي اليمني (يارحلين إلى منن بغيابي هيجتموا يوم الرحيل فؤادي) مثال صغير على ذلك فقد نظمها صاحبها في اليمن ، ورددها خلفه ولازال يرددها أهل السودان ومصر ودول القرن الإفريقي، فقد أثرت قصيدة واحدة وربطت وجدان غالب حوض البحر الأحمر. ويبرز أثر التصوف في الآلات المستخدمة في المديح كالنوبة والدف وغيرها فهي متشابهة متماثلة في كل البلاد وهي من وسائل التصوف في نشر الدعوة. وكذلك الأثر الفني فقد تغير الغناء وبرزت صيغ جديدة للتتماشي مع التصوف ، وهي ماعرف عندنا بغناء الحقيبة، أو الدلوكة أو عموماً الغناء بدون موسيقى.وكذلك أثرها في التسامح وحسن التعايش والتواصل وكسر الحدود الإدارية للدول، فبفضل الله وقوة التصوف هنالك تواصل بين الطرق في كل دول الحوض وهي متصلة ومتواصلة مع دول الجوار حول حوض البحر الأحمر في مصر واليمن، والحجاز والصومال وجيبوتي وإثيوبيا وإريتريا ،وامتد ذلك التواصل الثقافي حتى نيجيريا وتشاد وغيرها من الدول. حيث تعمل هذه الطرق في تزكية المجتمع وصيانة نسيجه الاجتماعي، و تقوم الطرق بالتواصل الثقافي داخلياً وخارجياً ،وتخدم المجتمع عن طريق بناء الخلاوي،والزوايا والمساجد،مع إنشاء المدارس للتعليم العام، وبناء المراكز الصحية والمستشفيات ،بل حتى رعاية المعاهد والمدارس الدينية والجامعات الإسلامية، بالإضافة لتقديم العلاج للمرضى نفسياً وعقلياً وجسدياً،

مـع إطعـام الفقـراء والمحتاجـين وغيرهـا مـن الأدوار والتاثـيرات التـي تركهـا مشـايخ الطـرق الصوفيـة، ممـا يمكـن عـبره توحيـد الأمـة الإسـلامية ثقافيـاً وسياسـياً ،وأن يعـود مصـدر قـوة للمسـلمين لتوحيـد كيانهـم مـرة أخـرى.

**الأثر الثقافي للتصوف :-**

ونختصر أثر التصوف ثقافياً في حوض البحر الأحمر في الآتي:-[١٦]

أ. نشر العلم والتعلم ومحاربة الجهل والأمية:- فقد عمل مشايخ التصوف عبر الطرق التي ينتمون إليها إلى نشر العلم عبر تحفيظ القرآن الكريم في خلاواهم،وتدريس الفقه، وتعليم الناس شئون دينهم ودنياهم ونشر وتثبيت العقيدة وتهذيب السلوك وترسيخ القيم الإسلامية عبر القصائد والمدائح ، يقول البروفيسور محمد إبراهيم أبو سليم:(وإهتمت هذه الطرق اهتماماً كبيراً بنشر الدعوة بجانب تعاليمهم ومبادئهم).[١٧] مع حثهم للسفر لمصر والحجاز واليمن والشام للعلم والتزود منه.

ب. ومن الأثر الصوفي الواضح في المجتمع محاربة العادات الضارة وقد سعى العديد من شيوخ الطرق الصوفية لتنقية الدين منها ومحاربتها، كالشلوخ وختان الإناث،والرقص في الحفلات والاختلاط ،وتعاطي التنباك ،وغيرها .وشغلوا العامة بمجالس الذكر ،والإجتماع في الزوايا واستخدام النوبة لجمعهم بدلاً عن القرن والنحاس وغيرها.

ج. الدعوة للوسطية والتسامح والإخاء وبذر بذور المحبة ومكافحة التطرف والغلو والعنف والتشدد وكافة مظاهره، والدعوة للتواضع وكسر النفس وخدمة الإخوان ،وهذا ما عصم التصوف والمتصوفة من موجه التكفير و القتل والتدمير التي سادت في البلاد التي حاربت التصوف.

د. محاربة القبلية والعنصرية للجنس أو اللون ، فالصوفية يتعاملون مع المريد كفرد يجب التعامل معه دون النظر لشكله ولونه وقبيلته، فقط بحسب استعداده للسلوك والتزامه بأوراد الطريق، فكلما كان مجتهداً مخلصاً فيها كان مقدماً عند الكل الشيخ والمريدين لذلك ساد عندهم ، أن الطريق لمن صدق وليست لمن سبق.

هـ. ومن أثر التصوف الاهتمام بالتنمية الاجتماعية وإن لم تكن مقصودة لنفسها،وذلك بالاهتمام بالعمل ومحاربة العطالة ،والحث على العمل الجماعي داخل الزوايا والخلاوي، مما ساعد في استقرار المريدين، وكان أثره إنشاء قرى صغيرة، ثم تكاثرت فصارت مدناً كبيرة، فنسمع في السودان بحلة خوجلي،وود مدني ،وأم مرحي الشيخ الطيب، وكسلا سيدي الحسن، وكدباس الشيخ الجعلي، وابوحراز الشيخ العركي، وهمشكوريب الشيخ علي بيتاي، والزريبة الشيخ البرعي وغيرها من المدن .وفي القرن الإفريقي مدينة هرر مركز الإسلام في إثيوبيا والتي حازت على جائزة اليونسكو واختيرت مدينة للسلام عام (٢٠٠٣).ومدينة زيلع مقر احمد بن عمر الزيلعي جد الشيخ غلام الله بن عائد الركابي، ومقديشو وغيرها من المدن التي ترعرعت ونمت نتيجة لوجود الطرق الصوفية بها.

و. ولعل من أبرز ما أثر فيه المتصوفة هو دعم وإعانة وإعالة الفقراء ورعاية وكفالة المساكين،ومساعدة أصحاب الحاجات، وإطعام الطعام للمسافرين، واستقبال وإكرام

الحجاج المسافرين إلى بيت الله، وإرشاد عابري السبيل، فضلاً عن خدمة المريدين والحيران، فصارت هذه سمة مميزة تلفت نظر كل الإنسانية،فكل من وصل لموقع الزاويا أو التكية أو الخلوة يقدم له الطعام، إن كان زائراً, أوعابراً أو يريد التعليم، أو يبحث عن شيخ لسلوك الطريق ، وكلهم سواء في الخدمة.

ز. ويظهر أثر التصوف في دول حوض البحر الأحمر في تدخل المشايخ في حل الإشكالات بين أفراد المجتمع،فهم مصدر ثقة لذلك يعتبر التصوف آلية من آليات التماسك الأسري ،والتكافل الاجتماعي، وشيوخه أساس السلام المجتمعي، فهم من يقومون بالإصلاح بين الناس، وهم يحلون المشاكل بين الأزواج،، ونجحت الصوفية بتعاليمها المستمدة من الكتاب والسنة النبوية، وبمناهجها التربوية ،والأذكار والأوراد الروحية والسلوكية المستمرة للمريد نجحت في حفظ كيان المجتمعات من التفكك.

ح. وهناك الأثر الواضح المتمثل في العلاج الجسدي والروحي، فقد بذل مشايخ الطرق في هذه المنطقة جهداً عظيماً في تحقيق رغبات المجتمع، فبحثوا عن علاج لأمراضه الصحية،فاستمدوا ذلك من القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن الأدعية المجربة ،ومن الأعشاب الموجودة في الطبيعة، فقدموا حلولاً لكثير من المشكلات الصحية لازالت مستخدمة في المنطقة.

ط. ومن المهم التأكيد على دور التصوف وأثره في الدفاع عن الأوطان ،ومحاربة الاستعمار، فلا ينكر أحد جهد الإمام محمد أحمد المهدي ومن تبعه من المتصوفة في الجهاد ضد الاستعمار، ولايخفى على كل باحث في استقلال السودان ما بذله السيد علي الميرغني رحمه الله،والسيد عبد الرحمن المهدي رحمه الله، والشريف الهندي رحمه الله،فكانوا رواد استقلال السودان.وفي مصر كان لهم دور كبير في كل المعارك التي خاضتها البلاد. كما كان للطريقة الصالحية في الصومال (محمد عبدالله حسن)دور كبير في محاربة المستعمر.

ي. وعليه فإن أثر التصوف الثقافي لاتخطؤه عين في دول حوض البحر الأحمر، في كافة مناحي الحياة، في الزي والعبارات، والسلوك،ونمط الحياة كلها.

## المبحث الثالث

## نماذج لشيوخ التصوف الذين أثروا في بلاد السودان

١. الشيخ تاج الدين البهاري:- [١٨] الذي قدم إلى بلاد السودان داعياً للطريقة القادرية الجيلانية ،فقد جاء من الحجاز عابراً البحر الأحمر حاملاً الطريق للسودان، في حوالي عام (٩٨٥هـ-١٥٧٧م) وذلك استجابة لدعوة الشيخ داؤود بن عبد الجليل رحمه الله، وبلغت الطريقة بجهوده شأناً عظيماً مازال حتى اليوم، فقد سلك على يديه الطريق الشيخ محمد الهميم بن عبد الصادق جد الصادقاب،وأثر الصادقاب ومنهجهم الصوفي ظل ومايزال نوره متقداً، وسلك عليه الشيخ بان نقا الضرير جد اليعقوباب،وأثر اليعقوباب وتلاميذهم مستمر في بلادنا ظاهراً لاتخطئه عين، كما سلك عليه الطريقة القادرية الشيخ عجيب المانجلك شيخ العبدلاب رحمه الله، وغيرهم كثر ،وتعتبر الطريقة

القادرية اليوم من أكبر وأبرز الطرق في كافة دول حوض البحر الأحمر عامة والسودان خاصة،ولها عدد من المراكز المشهورة حتى الآن كمنطقة أبو حراز ،وأم درمان وطيبة والشكينيبة والعيلفون وأم ضوابان ،وود حسونة، حتى كدباس شمالاً وغيرها من مدن السودان، حيث تعتبر نموذجا مصغرا للمدينة النبوية وتطبيق المنهج الصوفي في كل أبعاده الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية.

٢. الشيخ أحمد الطيب بن البشير،:- [١٩] وهو تلميذ مؤسس الطريقة السمانية،الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان، وقد أحرز الشيخ أحمد الطيب انتشاراً واسعاً للتصوف،عبر الطريقة السمانية الطيبية،وقد برزت الطريقة بكل فروعها لاسيما الشيخ الأستاذ محمد شريف نور الدائم (١٢٦٨هـ- ١٨٥١م)،وهو الذي تلقى عنده الإمام المهدي رحمه الله مبادئ العلوم وأساس الطريق،وهنالك الشيخ أحمد البصير والشيخ القرشي ود الزين،وظهر الشيخ قريب الله أبا صالح بأم درمان، والشيخ البرعي بالزريبة بكردفان، وقد كان لهذه الطريق أثر ثقافي واضح ، فقد اهتم مشايخها بالعلم الشرعي، وتميزوا بزي به رباط في الوسط أي ما يعرف بـ(الكرابة) ولهم إنشاد مميز ،وقد طبق الشيخ الجيلي وأحفاده والشيخ البرعي بمدائحهم وقصائدهم الآفاق، لاسيما الشيخ البرعي ، ولا تجد في السودان أحدا لم يسمع بزريبة البرعي ، ولا قصائده المشهورة كمصر المؤمنة، واذكر الاهك يوت، وغيرها، وزادت شهرتها بعد ادخال الآلات الحديثة في أدائها.

٣. السيد محمد عثمان الميرغني الشهير بالختم:[٢٠] ،وهو تلميذ السيد ابن إدريس، فقد ولد السيد محمد عثمان الميرغني بمدينة الطائف بالحجاز، في قرية تسمى السلامة في سنة (١٢٠٨هـ-١٧٩٣م)، تلقى علومه بالمدينة المنورة،وسلك الطريقة الميرغنية على يد جده عبد الله المحجوب، ثم سلك الطريقة النقشبندية ثم الجنيدية والقادرية وأخيراً الشاذلية، حتى قابل السيد أحمد بن إدريس الذي أوفده إلى شرق السودان، وصعيد مصر، وبلاد الحبشة، وإرتريا فقام بالواجب خير قيام ،و نجح في إدخال العديد من المريدين في شمال السودان، فبرز من مريديه الشيخ صالح سوار الذهب، الذي تبعه وسافر معه من الدبة وواصل معه جنوباً حتى وصل معه غرب السودان في كردفان، ثم سافر الميرغني إلى مدينة بارا ، وأقام بكردفان ،ثم توجه إلى سنار عاصمة دولة الفونج،وهناك تبعه السيد إسماعيل الولي الذي تتلمذ عليه ،وأخذ عنه الطريق ثم أسس فيما بعد طريقة مستقلة عُرفت بالإسماعيلية.

وبعد أن طاف شمال وشرق وغرب السودان رجع السيد محمد عثمان إلى الحجاز ، ومنها إلى اليمن حيث التحق بالسيد أحمد بن إدريس هناك، وبقى معه حتى وفاته في عام ١٨٣٧م.

وعقب وفاة شيخه انفرد السيد الميرغني بطرقة خاصة به وهي الختمية، وترك لها عدة مراكز تبدأ من الحجاز، ثم اليمن،الصومال ،وإرتريا وعدد من مناطق السودان.ومن ثم أرسل ابنه الأكبر السيد محمد سر الختم إلى حضرموت باليمن، وابنه الآخر السيد الحسن الميرغني إلى غرب البحر الأحمر،

حيث ، ثم واصل دعوته حتى سنار، وكردفان، وشمال السودان متفقداً كل المناطق التي زارها والده عليه رحمة الله. ولم يغادر السيد الحسن السودان حتى وفاته في (١٢٨٦هـ-١٨٦٩م)، و دُفن بمدينة بكسلا،وأثره وتأثيره ظاهر فيها حتى اليوم.وأثر الطريقة الختمية مازال منذ دخول السيد محمد عثمان إلى يومنا هذا، بزيها المميز وجلبابه الأبيض ذي الياقة،وقصائدها ومدائحها، والمولد العثماني الذي يقرأ يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع. ولا يخفى تأثير السيد علي الميرغني حيث يعد من أبرز الزعماء الدينيين والسياسيين في السودان المعاصر.

## الخاتمة

**أولاً :النتائج** :- وفي خاتمة هذه الورقة نتوصل للنتائج التالية:-

أ. إن التصوف عرف في الإسلام باكراً ولكن لم يشتهر كمصطلح بمعناه المشهور الآن.

ب. لم يتفق الباحثون على أصل اشتقاق مصطلح (تصوف) ولا على تعريفه بدقة.

ج. دخل التصوف إلى بلاد السودان في البدء مع دعاة جاءوا إلى البلاد كأفراد، كالشيخ تاج الدين البهاري ، والسيد محمد عثمان الميرغني وغيرهم.

د. هنالك ارتباط في أصل الطرق الصوفي في حوض البحر الأحمر في إثيوبيا والصومال ومصر واليمن والسودان، كالقادرية والسمانية والختمية.

ه. للتصوف أثر ثقافي واجتماعي واقتصادي كبير في دول حوض البحر الأحمر كافة والسودان خاصة.

و. يظهر الأثر الثقافي للتصوف في بلاد حوض البحر الأحمر كلها والسودان في الزي الذي يلبسونه، وفي الآلات التي يستخدمونها في الإنشاد، وفي بناء الزوايا والمساجد، وفي السلوك الذي يسلكونه في كل الطرق الصوفية.

ز. هنالك الكثير من المشايخ وأصحاب الطرق الذين كان لهم أثر ثقافي كبير في السودان،ومازال هذا الأثر متواصلاً كالشيخ تاج الدين البهاري وأتباع الطريقة القادرية من بعده،والسيد محمد عثمان الميرغني وخلفاء الختمية حتى اليوم، والشيخ أحمد الطيب السماني وفروع الطريقة إلى الآن.

ح. يعتبر أثر التصوف في محاربة العادات الضارة، والقبلية والعنصرية،ونبذ العنف والتشدد،والدعوة للإخاء والمحبة والتواضع والزهد يعتبر أحد أهم أركان الاستقرار والتعايش السلمي الذي يسود في دول حوض البحر الأحمر.

## ثانياً: التوصيات

أ. يوصي الباحث بإقامة مركز لبحوث ودراسات التصوف في السودان، ليكون مستودعاً للدراسات الخاصة بالتصوف والصوفية في البلاد.

ب. يوصي الباحث بدراسة منهج التصوف في التعايش السلمي ،وفي خدمة الآخرين ونشر تلك الدراسات للإنسانية جمعاء.

ج. قيام مؤتمر جامع لمشايخ الطرق ذات الأصل الواحد والربط بينها حتى يصير ذلك نواة

لوحدة دول حوض البحر الأحمر ومن ثم الأمة كلها.

**الهوامش**

١. الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام بن تيمية ص ٥ ط القاهرة - مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧ - دائرة المعارف الإسلامية ،أردو ٦ /٤١٩ ط جامعة بنجاب باكستان دائرة المعارف الإسلامية الطبعة العربية مادة تصوف ٥ /٢٦٦ - تلبيس أبليس لابن الجوزي ص ١٥٧ دار القلم بيروت لبنان . - اللمع للطوسي ص ٤٣- الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسنى ص ٥٣ ط عالم الفكر القاهرة .- الرسالة القشيرية، القشيري ١ / ٥٣

٢. كتاب اللمع ،ابو نصر السراج ص ٤٦ م .

٣. قوت القلوب،لأبي طالب المكي ٢/١٦٧ ط المطبعة الميمنية مصر١٣١٠هـ . -

٤. انظر الرسالة القشيرية، القشيري، ٢/٥٥٠وما بعدها

٥. التعرف لمذهب التصوف،الكلاباذي ص٢٨ وما بعدها تحقيق محمود أمين النواوي الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة .

٦. انظر الرسالة القشيرية ، القشيري ٢ / ٥٥٠ ط مطبعة حسان القاهرة ١٩٧٤ ..

٧. قواعد التصوف ، لابن زروق الطبعة الثانية ص ٢٩٣ ط ١٣٩٦ هـ. -إيقاظ الهمم في شرح الحكم ،لأ بن عجيبة الحسني ط مصطفى البابي الطبعة الثالثة ١٩٨٢ م

٨. كشف المحجوب، للهجويري،ص ٢٣٠ ترجمته عربية دكتورة أسعاد عبد الهادي قنديل، ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠ م .

٩. الرسالة القشيرية ،عبد الكريم القشيري ٢/ ٥٥٠ دار الكتب الحديثة القاهرة .

١٠. معجم المصطلحات الصوفية، ص٢٧

١١. التَّصَوُّفُ، المنشَأ وَالمَصَادر،إحسان إلهي ظهير،ص٢٣ وما بعدها الناشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

١٢. أحياء علوم الدين ،الامام الغزالي ٤/ ٣٢٤

١٣. تلبيس ابليس، ابن الجوزي ص١٦١

١٤. الثقافة السنارية المغزى والمضمون، حسن مكي محمد أحمد ص١، بمناسبة مرور خمسمائة عام هجري على قيام سلطنة سنار الإسلامية، جامعة أفريقيا العالمية- مركز البحوث، إصدار رقم (١٥).

١٥. انظر علي صالح كرار، السادة الأدارسة، ص٥١أمدرمان- مجموعة أوراق للتوثيق، مداولات الندوة الأولى لتوثيق وكتابة تأريخ مدينة أم درمان، جامعة أم درمان الأهلية، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، أم درمان، ١٩٩٩م.

كتاب الطبقات، محمد النور بن ضيف الله، ص٨ وما بعدهاتحقيق، بروفيسور. يوسف فضل حسن، ط٣، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٥م.- موسوعة أهل الذكر بالسودان،يحيى محمد إبراهيم. مدرسة أحمد بن إدريس وأثرها في السودان،ص٣١٥ بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٣م. – تاريخ الختمية في السودان ،طارق أحمد عثمان ص٢١، الخرطوم- منشورات دار سافنا والمأمون، ١٩٩٩م.

١٦. الطريقة السمانية،طارق أحمد عثمان، ص٣٣٩ وما بعدها - السادة الأدارسة،علي صالح كرار، ص٥١
١٧. دور العلماء في نشر الإسلام في السودان،أبوسليم ص٣٦ مؤتمر الإسلام في السودان، قاعة الصداقة- الخرطوم، نوفمبر ١٩٨٢، أعد المقالات للنشر مدثر عبد الرحيم والطيب زين العابدين ط١، دار الأصالة- الخرطوم ١٩٨٧، ص٣٦.
١٨. موسوعة أهل الذكر بالسودان،برف يوسف فضل، ص٣٣٤: تحرير ب. يوسف فضل حسن وعبد الحميد محمد أحمد، المجلس القومي للذكر والذاكرين، الخرطوم ٢٠٠٤م.
- الطبقات،ود ضيف الله، مرجع سابق ص٤٩.
١٩. الطريقة السمانية وأثرها الديني والاجتماعي في السودان، طارق أحمد ص٥٥، رسالة دكتوراة في الدراسات الأفريقية- جامعة أفريقيا العالمية- الخرطوم ٢٠٠٠م.
٢٠. معجم المؤلفين،عمر رضا كحالة، ١٠/٢٨٦الناشر: مكتبة المثنى - بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت - الأعلام،الزركلي، ٦/٢٦٢- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض،٢/٥٧٤،الناشر:مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

## المراجع والمصادر


- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد الغزالي، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٧/١٩٨٧.
- التصوف المنشأ والمصادر، لإحسان إلهي ظهير، لاهور، الطبعة الأولى .
- التعريفات، للشريف علي بن محمد الجرجاني، دار السرور، بيروت.
- الرسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار الكتب الحديثة، القاهرة.
- السادة الأدارسة، علي صالح كرار ،أمدرمان- مجموعة أوراق للتوثيق، مداولات الندوة الأولى لتوثيق وكتابة تأريخ مدينة أم درمان، جامعة أم درمان الأهلية، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، أم درمان، ١٩٩٩
- اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- المقدمة، لعبد الرحمن ابن خلدون. دار الفكر.
- انتشار الإسلام في افريقيا،دكتور محمد عبد الله النقرة، دار المريخ –الرياض ،١٤٠٢هـ.
- تلبيس إبليس، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، عنيت بنشره إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- قوت القلوب، لأبي طالب المكي، طبع بمطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة.
- كتاب الطبقات، تأليف محمد النور بن ضيف الله، تحقيق، بروفيسور. يوسف فضل حسن، ط٣، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٥، ص٨، ٢٥٢.
- كشف المحجوب، للهجويري، دراسة وترجمة وتعليق: د.إسعاد عبد الهادي قنديل،

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة التعريف بالإسلام، القاهرة ١٤١٥/١٩٩٤.
- مدرسة أحمد بن إدريس وأثرها في السودان،يحي محمد ابراهيم، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩٣م.
- مصطلحات الصوفية، لعبد الرزاق الكاشاني، تحقيق: د.عبد الخالق محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٤/١٩٨٤.
- معجم اصطلاحات الصوفية، للدكتور أنور فؤاد أبي خزام، مراجعة: د. جورج متري عبدالمسيح، مكتبة لبنان، ناشرون، الطبعة الأولى ١٩٩٣.
- مقدمة التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد الكلاباذي، قدم له وحققه: محمود أمين النواوي، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٢/١٩٩٢.